قناديلُ جَدّي

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الكتاب: قناديلُ جَدّي

جنسه: مجموعة قصصية للفتيان

المؤلف: هيثم بهنام بردى

لوحة الغلاف: الفنان العراقي عمر طلال حسن

الطبعة: الأولى ٢٠١٧

ISBN: 978-9933-581-02-2

تصميم الغلاف والإخراج الفني: دار أمل الجديدة

سورية -دمشق

جوال ٠٠٩٣٩٣٢٤٧٢٠٩٦ -٠٩٣٩٣٢٠٠٢١٢٦ -

هاتف: ٠٠٩٣١١٢٧٢٤٢٩٢

E-mail:ammarkordia@yahoo.co

حقوق الطبع محفوظة: لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت (الكترونية) أو (ميكانيكية) أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

All rights reserved, Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, Electronics, mechanical photocopying, recording of otherwise, without prior permission in writing of the publisher.

هيثم بهنام بردى

قناديلُ جَدّي

مجموعة قصصية للفتيان

تقديم

الدكتور خليل شكري هياس(*)

(قناديل جدي) مجموعةٌ قصصيةٌ للفتيان، يشتغلُ مؤلفُها **(هيثم بهنام بردى)** بحسٍ سرديٍّ عالٍ وبتمكنٍ كبيرٍ من أسرارِ الكتابةِ لهذهِ الفئةِ العمريةِ الحرجةِ؛ التي تتطلبُ سماتٍ فنيةً وموضوعيةً خاصةً تختلفُ عن أدبِ الطفلِ بقدرِ ما تختلفُ عن أدبِ الكبارِ؛ من حيثُ اللغةِ، والأسلوبِ، والخيالِ، وطبيعةِ الموضوعِ، وانتقاءِ الحدثِ، والشخصياتِ، وطريقةِ تناولِ كل ذلك سردياً؛ ليصل بنا في النهايةِ إلى فضاءٍ نصيٍّ يتناسبُ، ويحاكي عقلَ، ووجدانَ، وثقافةَ الفتى والفتاة من جهة؛ والغايةَ التي يريدُ أن يصلَ إليها في محاكاته لعقلِ، ووجدانِ، وخيالِ هذه الفئةِ العمريةِ من جهةٍ ثانيةٍ. إذ لا شكَ من أن الكتابةَ الإبداعيةَ للفتيان تحوي في طبقاتِها النصيةِ خيطاً توجيهياً يحاولُ من خلالِهِ المبدعُ تغذيةَ الخزينِ المعرفيِّ والثقافيِّ

للمتلقي/ الفتى والفتاة؛ كي يتحولَ في نهايةِ الأمرِ إلى سلوكٍ حياتيٍّ، كما لا تغفلُ طبقاتُها النصيةُ الجانبَ الفنيَّ واللذويَّ في القراءةِ الذي يجبُ أن يخفيَ ويواريَ الخيطَ التوجيهي في جنباتِهِ، كي لا يبدو النصُ درساً مكشوفاً في الأخلاقِ.

المؤشرُ القرائيُّ الأولُ الذي يلفتُ نظرَ بوصلةَ القراءةِ نحوهُ هو العنوانُ بكلِّ ما يحملُهُ من توجيهٍ، وإغراءٍ، وأفقٍ قرائيٍّ من جهة؛ وقيادةٍ قرائيةٍ بين ثنايا النصِ من جهة ثانية، ولعلَّ الموجهَ القرائيَّ الأولَ والأكثرَ فاعليةً في العنوانِ ينبثقُ من مفردةِ **(القنديل)** بما تحملُها من دلالة الإضاءةِ التي تقودُ إلى مدلولاتٍ تنويريةٍ تزيحُ الغموضَ وتكشفُ عن المجهولِ، وتقودُ إلى البيانِ والإيضاحِ، من أجلِ الوصولِ في النهايةِ إلى برِ الأمانِ؛ ثم تأتي المفردةُ الثانيةُ **(جدي)** لتدعمَ بقوةٍ كبيرةٍ هذا التوجهَ الدلاليَّ لما يحملُه الجدُ من خبرةٍ، وحكمةٍ، وتجاربٍ حياتيةٍ، تجعلُ لقناديلِهِ خصوصيةً تنويريةً أكبرَ من غيرِهِ الذي لم يختبرْ الحياةَ ولم تختبرُها الحياةُ؛ أما صيغةُ الجمعِ التي وسمتْ القنديلَ فجاءَتْ لتبوحَ للقارئِ بشكلٍ غيرِ مباشرٍ بأنَّ في جعبةِ الجدِّ الشيءَ الكثيرَ ليرويهِ.

إنَّ مـن أهـمِ الميـزاتِ الـتي تميـزَ بهـا نصـوص هـذه المجموعة، أنَّها تنبعُ من فلسفةِ الواقعِ، وعاداتهِ، وتقاليدهِ؛ من خلالِ محاكاتِهَا للواقعِ السيرذاتيِّ للذاتِ المؤلفةِ التي تحضرُ فيها بمعيةِ بعضِ أفرادِ عائلتِهِ، لتسجلَ بذلك نوعاً أدبياً جديداً يمازجُ بينَ القصةِ الفتيانيةِ بكلِّ محمولاتِهَا وآلياتِهَا النوعيةِ؛ وبينَ السيرةِ الذاتيةِ التي تعدُّ نوعاً سيرياً خاصاً ينهلُ من زهرةِ الذاتِ، وتحملُ في طياتِهَا خصوصياتِهَا التقانيةِ المتمثلةِ بالعقدِ القرائيِّ الموقعِ بينَ المؤلفِ، والمتلقي، على أنَّ النصوصَ تنتمي إلى الحياةِ الخاصةِ بالمؤلفِ، والمسمى بـ (الميثاقِ السرذاتيِّ)، والمتجلي -هنا في النصوصِ -بحضورِ هيثم بهنام بردى بذاتِهِ وتوقيعِهِ الشخصيِّ: **"أرفعْ الورقَ يا هيثم.. وألقِ القلمَ."**، وبحضورِ جدِّهِ: **"الطمعُ يا أبو بهنام، الطمع."**؛ وهذا الميثاقُ القرائيُّ الحيُّ يقودُنا إلى تقانةٍ سيرذاتيةٍ أخرى تتمثلُ بالتطابق بينَ **(أنا المؤلف)**/ **(هيثم)** الكائنِ الحيِّ المتواجدِ خارجَ النصِ، على لوحةِ الغلافِ، وأنا**(هيثم)** الشخصيةِ الرئيسةِ الكائنةِ في النصوصِ، وأنا**(هيثم)** الساردِ الذي يقودُ دفةَ السردِ؛ وهذا التوجهُ السيرذاتيُّ جاءَ ليجعلَ النصَّ أكثرَ إغراءً بالقراءةِ، لأننا نحنُ (معشرُ القراءِ) مجبولونَ

دائماً بحبِ الفضولِ في كشف ذواتِ الآخرين، وكذلك أكثرَ قرباً من الذاتِ القارئةِ التي غالباً ما ترى ذاتَها في ذوات الآخرين؛ والمؤلفُ في هذه المجموعةِ إنما يكرسُ ما فعلُهُ في مجموعتِهِ القصصيةِ الفتيانيةِ السابقةِ (مع الجاحظ على بساط الريح) التي اقتربَ فيها كثيراً من السيرةِ القصصية الذاتيةِ، إلاّ أنه هنا في المجموعة الأخيرة دعمَها بالميثاقِ السيرذاتيِّ ليعلنَ صراحةً إنتماءَها إلى هذا النوعِ الأدبيِّ الهجينِ من القصة الفتيانيةِ والسيرةِ الذاتيةِ.

أما على صعيدِ السردِ القصصيِّ الفتيانيِّ، فنجدُ حضوراً لافتاً للغةِ التي جاءتْ بأسلوبٍ سهلٍ ممتعٍ، وممتنعٍ، ومناسبٍ لطبيعةِ السردِ الجاري على وتيرةٍ تصاعديةٍ، تبدأ بمقدمةٍ تمهيديةٍ سيرذاتيةٍ تهيئُ القارئَ ذهناً، وعاطفةً، وفكراً، لما سيأتي في الحكايةِ/ المغزى، التي يتولى الجدُ سردَهَا، والتي تكونُ مستقاةً من واقعٍ بيئيٍّ محليٍّ يفوحُ منها رائحةُ التراثِ الشعبيِّ، وانتهاءً بخاتمةٍ توعويةٍ تهذيبيةٍ، تأتي في الغالبِ على لسانِ السارِدِ الذاتيِّ بعد أن يعيدَ زمامَ السردِ من جدِّهِ. هذه الطريقةُ السرديةُ تعرفُ بطريقةِ السردِ التضميني التي تحوي في طياتِهَا قصتينِ على هيئةِ قصةٍ داخلَ قصة، القصةُ الرئيسةُ يتولى سردَهَا الذاتُ المؤلفةُ،

والثانيةُ التضمينيةُ يتولى سردَهَا الجدُّ، في مسعى من الذاتِ المؤلفةِ دغدغةَ مشاعرِ القارئِ/ الفتى المجبولِ منذُ الصغرْ على حكاياتِ الجدِّ، والجدةِ، والأمِّ والأبِ، والتي تشكلُ عالماً ثراً في طبقاتِ مخيلتِهِ، وهذه واحدةٌ من الوسائلِ التي يلجأُ إليها كتابُ القصةِ للطفلِ أو الفئاتِ العمريةِ المقاربةِ لهَا.

وتتمظهرُ اللغةُ الفتيانيةُ على نحوٍ واضحٍ في الحوارِ الذي نراهُ حاضراً في القصصِ الثلاث، ومحققاً إتصالَها المرجو على الصعيدِ الفرديِّ، من حيثُ مطابقةِ اللغةِ، والأسلوبِ لطبيعةِ المخاطِبِ والمخاطَبِ داخل النص؛ وعلى الصعيدِ الجماعيِّ من حيثُ البيئةِ والمجتمعِ التي بزغَ منها هذا الحوارُ، وفي النهايةِ طبيعةِ المتلقي الموجهِ له الخطاب؛ مع احتفاظِهِ بعنصرِ التلقائيةِ التي لا بدَّ من توافرِهِ في الحوارِ الفتيانيِّ المختلفِ عن الحوارِ للكبارِ الذي يقومُ على القصدياتِ العاليةِ المنزويةِ في الأساليبِ الإنزياحيةِ، واللغةِ العاليةِ المائلةِ إلى الغموضِ والتواري عن القراءةِ السهلةِ الواضحةِ أحياناً حسبَ الشخصياتِ المتحاورةِ؛ ليغدو في النهايةِ حواراً مقنعاً تتوافرُ فيه الدقةُ، والوضوحُ، والبساطةُ البعيدةُ عن السطحيةِ، واللغةِ الثرثارةِ؛ كما يحضرُ في

النصوصِ القاموسُ الوجدانيُّ للغةِ التي تتجلى في اللغةِ الحميمةِ بين الجدِّ والأولادِ على طولِ مسارِ القصصِ الثلاث، وهو منحى آخرَ من مناحي النصِّ الفتيانيِّ الذي -كما أشرنا قبلَ صفحةٍ -يضمُ في طياتِهِ دروساً في الأخلاقِ والتربيةِ؛ والمؤلفُ في كلِّ ما تقدمَ لا يحيدُ عن اللغة الفصحى، مؤمناً أن الأصالةَ تبدأُ باللغةِ، ولا بديلَ لنا إلاّ أنْ نرعى هذه اللغةَ على لسانِ أولادِنا وبناتِنا، كي لا ينشأَ لدينا جيلُ معاقٌ لا يفقَهُ من لغتهِ شيئاً، ولا يقدرُ التعبيرَ عما يتلجلجُ في داخلهِ من مشاعرَ وأفكارٍ بلغةٍ واضحةٍ وصحيحةٍ ومشتركةٍ بين الجميع.

وتحضرُ الحكايةُ الشعبيةُ بوصفِها عنصراً بارزاً ومؤثراً في السردِ الفتيانيِّ؛ نظراً لما تحملُها من موجهاتٍ إصلاحيةٍ وتقويميةٍ، وما تحملُها من نقدٍ مجتمعيٍّ للظواهرِ السلبيةِ، يكشفُها ويضعُها أمامَ القارئِ، من أجلِ الوصولِ إلى العبرةِ الرادعةِ، والإقناعِ بحقيقةِ الواقعِ المؤلمِ؛ وقد جاءَتْ بأسلوبٍ بسيطٍ سعى فيه المؤلفُ الوصولَ إلى الهدفِ المرجوِ، وهو التأكيدُ على السمةِ الخلقيةِ للإنسانِ، وسعيهِ الدؤوبِ للوصولِ إلى الحقيقةِ المقنعةِ التي يمكنُ معها تغييرَ السلوكِ المِعوَجِّ عندَ الشخصياتِ المنحرفةِ عمّا هو صائبٌ في

الحياة؛ إذ نرى ذلك واضحاً في المتونِ القصصيةِ الثلاثةِ التي تكشفُ عن ساردينِ: هما الحفيد، والجد، الأولُ: يتولى سردَ القصةِ الرئيسةِ، والثاني: يتولى سردَ الحكايةِ الشعبيةِ التي تأتي بمثابةِ قنديلٍ من القناديلِ الحاضرةِ في العنوان الرئيس.

أخيراً نستطيعُ القولَ مطمئنينَ: إنَّ **(قناديلَ جدي)** مجموعةٌ قصصيةٌ فتيانيةٌ تسير بخطى ثابتَةٍ نحو التجريبِ والمغايرةِ، سواءً عبرَ هذا التوظيفِ الجديدِ القائمِ على التلاقحِ الاجناسيِّ بينَ القصِّ الفتيانيِّ والسردِ السيرذاتيِّ، أو التحايلِ الماهرِ في توظيفِ الحكايةِ الشعبيةِ التي تصبُ في نهايةِ المطافِ في صالحِ القصةِ الرئيسةِ (السيرذاتية) الموغلَةِ في الواقعيةِ، والماضي الزمنيِّ، الحاملِ لعبقِ كلّ ما هو أصيلٍ وجميلٍ وحي، في مسعى من المؤلفِ لأضفاء الحيوية والتشويق والإقناع على السرد.

٢٠١٥/٧/٢٠

(❖) ناقد وأكاديمي عراقي، مختص بالدراسات النقدية والأدبية الحديثة.

الرجل النّطاط

.... وأنا أمسك بتلابيب شقيقي الذي يصغرني بعامين وأحاول أن أطرحه أرضاً، إزدادت رغبتي بذلك لكونه يحاول دائماً الدفاع عن نفسه فقط، ولا يتجرأ على ضربي كما أضربه أنا، وحين ينجح بالتخلص مني بعد ان ينال لكمة أو لكمتين ورفسة، تدمع عيناه ويغالب ارتجاف شفتيه الغاضبتين ثم يعدل زيقه المدعوك ويمضي الى البيت دون ان ينطق بكلمة، بينما أمشي أنا مزهواً منتفخ الأوداج كديك مغرور، وعندما أحاذي الحجرة القديمة أحاول أن أرفع عيني نحو السماء متحاشياً نظرات عينيّ جدي الممتطي صهوة كرسيه في صدر الطوار وهو يتنشق عبير الصباح الربيعي المشمس، ثم يقهقه بنبرة ساخرة عندما يلمحني أسرق نظرة خيلاء خاطفة نحو نسيم المتقرفص بصمت عاصف تحت شجرة التوت العملاقة التي تتوسط طوار البيت وهو لا يزال يحاول كتم نحيبه العميق، ثم أسمع صوت جدي الهادر الذي يفوق عشر مرات الألم الذي سببته لنسيم.

– أيها المغرور.

التفت إليه لأجده ملتمساً رأس عكازه بقبضة كفه اليمنى المشعرة، وسبابة يسراه تشير إليّ.

– تعال يا ولد.

وأمام سطوة عينيه امتثلت لأمره، وعندما وصلت إليه أمرني.

– أجلس.

ثم التفت صوب شقيقي الأصغر وهتف.

– وأنت أيضاً يا ولد، تعال....

انتفض شقيقي كمن صحا من كابوس، وهمس.

– حاضر جدي.

أمره جدي بعد أن امتثل بين يديه.

– أجلس جنب أخاك.

جلسنا معاً جنباً لجنب نعاين جدي الذي خلناه في غفوة عميقة، سيما وأن عينيه لم ترفا بأي جفن، وتنفسه منتظم عميق، فعقدت العزم على النهوض، وحين تململت جاءني صوته زاجراً.

– أجلس مكانك.

وازاء النبرة الآمرة امتثلت لأمره، بل تهيأ لي أنه

سيضربني بعكازه، ولكنه بدل أن يفعل ذلك فتح عينيه وشملنا بنظرة وادعة باسمة، وقال موجهاً كلامه لي.

– من منكما أكبر عمراً؟

همست دون تفكير.

– أنا.

همس لنفسه.

– حسن.

ثم سأل.

– من منكما الأضخم والأقوى؟

أجبت فوراً.

– هو.

همس لنفسه.

– حسن.

ثم وجه كلامه لي.

– هل تعتقد أنه لو استخدم قوته تستطيع أن تتغلب عليه؟

لم أجبه، فصرخ بي.

– أجب.

وازاء صمتي التفت إلى أخي وقال له.

– أجب أنت.

قال شقيقي الأصغر.

– أستطيع أن أمنعه من ضربي.

– ولماذا لا تفعل؟

– لأنه أكبر مني سناً.

إبتسم جدي ثم قال.

– وهل هو على حق دوماً؟

– ليس دائماً.

– إذن لماذا تقبل أن يضربك؟

قال شقيقي بهدوء.

– اليوم منعته.

– بل تجنبت ضرباته.

– أجل.

فساله جدي.

– لماذا؟

قال بنفس الهدوء.

– الحلم سيد الأخلاق.

فلتت صرخة إعجاب من فم جدي.

– صدقت.

وبنفس نبرة الإعجاب أكمل.

– قوة عقلك أرجح من قوة جسدك.

راوزني بنظرة حادة وسألني.

– هل فهمت ما يعنيه؟

قلت بتأفف.

– لا أفهم ثرثرته.

– هذه ليست ثرثرة يا ولد ، فأنت تفكر بقبضة كفيك، وهو يفكر بقبضة عقله.

وبعد أن نظر بعيداً همس لنفسه.

– وهذا هو الفرق بينكما.

وأغمض عينيه من جديد ، نظرت صوب شقيقي فوجدته ينظر إليه بنظرات تفيض محبة وتوقيراً ، فابتسمت بسخرية وأنا أرمق لحية جدي المتهدلة على ياقة صايته البيضاء، فوبخني قائلاً.

– إغلق فمك يا ولد.

فانطلقت الجملة من فمي.

– وكيف رأيتني وأنت مغمض العينين؟

ففتح عينيه وضحك من أعماقه وأجابه.

– لي عين ثالثة.

صرخت.

– أين؟

مد سبابته إلى جبينه المحزز، وقال.

– هنا.

فانطلق الهتاف من فمي.

– معقول.

والتفت إلى شقيقي وسأله.

– هل تراها؟

أجاب شقيقي على الفور.

– نعم جدي.

لكزته في ذراعه وهمست.

– أحمق.

تجاهلني تماماً، ووجه كلامه إلى جدي.

– قصّها علينا.

إنبسطت أسارير جدي وهمس.

- أنت لماح يا ولد.

ثم سأله.

- هل تحب الحكايات؟

- كثيراً.

والتفت إليّ وسألني.

- وأنت، هل تحبها.

- أحياناً.

- طيب.

سرح في البعيد البعيد، ثم خرج صوته عميقاً دافئاً.

- سأقص عليكما إحدى حكايات جدتي.

إعتدل شقيقي في جلسته، واقتفيت حركته على مضض. قال جدي.

- ولن يفهمها إلاّ من يمتلك عيناً ثالثة.

ولم يكن لي حل آخر سوى سماع حكاياته التي لا معنى لها، فوجهت عينيّ إلى فمه وأنصت إلى صوته الجميل وهو يسرد لنا حكايته.

(منذ زمن قديم، ... قديم جداً، كان هناك مملكة عامرة يحكمها سلطان عادل، وكان أهل المملكة

يعيشون برفاهية وأمان وسعادة، وبفضل العدالة التي كانت عنوان المملكة كانت السنوات تمضي والمملكة تزداد رخاء وسلاماً، حتى جاء اليوم الذي.....)

وأخذت جدي نوبة سعال قوية جعلت وجهه يحمر وعيناه تجحظان، فسارعت إلى مناولته طاسة الماء الفضية فشرب منها على دفعات حتى هدأ سعاله وعادت روحه، فرمقني بنظرة محبة وقال.

- شكرا يا ولدي.

وكان الحنين الذي في صوته من الهدايا النادرة التي أتلقاها، فهمست بلهجة تفيض بالمحبة.

- هنيئاً جدي.

مسح فمه بمنديله الأبيض، ثم نظر لكلينا، وأكمل.

(... حتى جاء اليوم الذي مات فيه وزير الخزانة الذي كان يتصف بالأمانة والطيبة، ولأن السلطان ذو عقل راجح، وجد... بعد أن مرت أربعون يوماً على وفاة الوزير أن يكون دقيقاً في اختياره لوزير جديد يفوق السابق في نزاهته وأمانته إن لم يكن في مستواه، فأستشار حكيم المملكة الذي أشار عليه بما يلي:

أن يرسل المنادي إلى أرجاء المملكة بالتجمع بعد أسبوع في ساحة الحكم، ومن يجد في نفسه الكفاءة ليتقدم لشغل هذا المنصب الحساس لإجراء الاختبار..

وفي اليوم الموعود، تجمهر الناس في المدرجات ينظرون إلى المقصورة المعدة للسلطان فوجدوه جالساً وحوله الحكيم والوزراء والأعوان، وفي الساحة المترامية ثمة سرداق طويل جداً يصطف على مدخله ومخرجه شرطة المملكة، تقدم المنادي وتوسط الساحة فساد الصمت الذي ثقبه صوته الجهير.

- يا أهل المملكة السعداء.

وبعد توقف تأكد فيها من إنصات الكل هتف.

- تعرفون جميعاً أن وزير الخزانة توفاه الله، وسعادة مولانا السلطان دام عزه برضاكم عنه، يريد وزيراً جديداً، كما هو المتبع، من بين أبناء المملكة.

وبعد صمت قصير تيقن فيه أن الساحة صارت مجرد آذان صامته جهر صوته.

- فمن يجد في نفسه الكفاءة والرغبة لشغل منصب وزير الخزانة ليتقدم إلى الساحة ويقف جنب السرداق.

وما أن أنهى المنادي خطابه تقدم سبعة رجال ووقفوا جنب السرداق، وبعد فترة لم يتقدم آخر فهتف المنادي.

- هل من مزيد؟

وبعد أن تيقن أن.... لا مزيد ، إلتفت الى الرجال السبعة وخاطبهم قائلاً.

- عليكم أن تظهروا كفاءتكم لشغل هذا المنصب المهم الذي يعتمد على نكران الذات والنزاهة، وهذا يعتمد على نجاحكم في الإختبار.

نظر إلى المنصة وابتسم بوجه الحكيم، ثم استدار وواجه الرجال السبعة وقال.

- والأختبار هو أن تدخلوا تباعاً من فم السرداب وتخرجوا من الباب الآخر ثم تجلسوا في تلك المقاعد.

وأشار إلى مقاعد متراصة في الجانب البعيد من السرداق، وقال.

- هل هذا واضح.

تعالت أصوات المرشحين.

- مفهوم.

وفي المقصورة همس السلطان بأذن الحكيم.

- لا أفهم.

إبتسم الحكيم وهمس.

- بعد قليل ستُعّين وزير الخزانة الجديد.

وبدأ الاختبار... كل رجل دخل السرداق، كان يدخل منطنطاً مثل طائر الحسون، ويخرج من طرف الباب الآخر متهدلاً مثقلاً كالحمار، باستثناء واحد، دخل منطنطاً وخرج منطنطاً.

فهمس الحكيم بأذن السلطان.

- هذا النّطاط هو الوزير.

فتح السلطان فاه دهشاً، وسأل الحكيم.

- لماذا...؟؟؟.)

..... وقطع جدي حكايته، كنت في شوق شديد، ولأول مرة، لمعرفة بقية القصة، ولكنه... كعادته يفعل هذا الفعل المستهجن كلما وصل إلى موقف حساس فيها، يفتح عينيه وتعود إليه روحه الهائمة مع الحكاية، وبعد أن استراح واستعاد أنفاسه إلتفت صوبي وخاطبني.

- لماذا اختار الحكيم المرشح النّطاط كوزير للخزانة؟

طال صمتي وأنا أقول لنفسي، ... وما أدراني أنا، سمعت

صوته الملّح.

- ألا تعرف...؟

وحين أيقن إني لن أجد الجواب، همس لنفسه.

- القوة.

وأكمل بصوت تعمد أن نسمعه معاً.

- قوة الجسد.

ثم التفت إلى شقيقي وسأله.

- هل أجد الحل عندك؟

أجابه على الفور.

- أعتقد إني وجدت الجواب.

سأله على الفور.

- ماذا كانت إجابة الحكيم للسلطان؟.

بعد أن بلع رضابه قال.

- قال الحكيم، يا مولاي إن السرداق كان مليئاً بالذهب، والمرشحون الستة الذين دخلوا ملئوا جيوبهم وسراويلهم وحتى قلاسنهم بالذهب فدخلوا منطنطين وخرجوا ساحلين ابدانهم، إلاّ الرجل النطاط... لأنه لم يسرق الذهب، فإنه دخل وخرج دون ان يثقل جيوبه، فخرج

كما دخل خفيفاً منطنطاً.

وجدت عينيّ جدي تبرقان سروراً وهو يراوز شقيقي الأصغر بعينيه ويهتف بإعجاب.

- صدقت يا ولد.

وبعد أن استوعب إعجابه هتف.

- العقل.

وأكمل.

- قوة العقل.

وبعد أن شملنا معاً بنظرته المليئة بالمحبة الباذخة لكلينا، أمرنا مع ضحكة عميقة.

- هيا إلى دروسكما.

***

الاثنين

٢٠١٥/١/١٢

النجار

سمعت هتاف جدي.

- يا ولد.

ركضت صوب حجرته ووقفت أمامه، كان ضوء الشمعة الموضوعة وسط المنضدة الخشبية العتيقة يتراقص ضياؤها ويجّسد على الحائط الكلسي معالم رأسيهما، هو وصديقة الدائم، فكدت أضحك حين رأيت ظليّ رأسيهما في الجدار يتعاركان ثم يتعانقان، فعنفني جدي وهو يرفع عكازه ويهم بضربي.

- ما الذي يضحكك؟

وقال بصوت عال.

- أما تدري أن الضحك بلا سبب من قلة الأدب؟

وإمعاناً مني في زيادة غضبته، قلت وأنا أرجع خطوات للخلف.

- أنت أبو أبي.....

ففلتت الضحكة التي حاول جاهداً أن يمنعها وقال.

- ملعون.

وبعد أن توقفا، هو وصديقه عن الضحك، قال صديقه.

– ولد نبيه.

وقفت جنب الباب الخشبي القديم المزركش بالمسامير النحاسية، وسألت جدي.

– بم تأمر يا جدي؟

همس بصوت خفيض.

– هل انقطع المطر؟

أجبته على الفور.

– بل إزداد هطوله.

إبتسم فرحاً، وهمس بمحبة.

– أعد قهوتنا وهيلّها.

أجبته بنبرة مطيعة.

– حاضر.

وابتلعتني الغرفة الجانبية الصغيرة الملحقة بحجرة جدي، والتي تطل عليها من خلال كوّة صغيرة أرى من خلالها وجهيهما، وأسمع حوارهما بوضوح.

إمتد صمت طويل كنت أسمع خلاله رنة قطرات المطر المتساقطة على سطح الصفيح الذي يسقّف قن الدجاج،

نظرت من خلال الكوة إلى حجرة جدي لأجد رأسيّ جدي وصاحبه في فكام والتحام، ثم سمعت صوت جدي.

– ما أخبار الأخوين المتخاصمين؟

زفر صديقه الدخان الذي شهقه من غليونه الخشبي القديم وأجاب.

– وكأنهما عدوان.

فتنهد جدي وقال بحزن.

– لو كان والدهما الطيب على قيد الحياة ورآهما على هذه الحالة لمات كمداً.

فأجابه صديقه.

– الطمع يا أبو بهنام، الطمع.

صرخ جدي بوجهه.

– مائة مرة قلت لك، خاطبني بأبي إيشوع.... أنسيت أنه بكر أولادي؟.

هدّأ الرجل من غضب جدي وقال معتذراً.

– اعذرني أبا إيشوع.... زلّة لسان.

أجابه جدي بصوت ودود.

– لا بأس يا صديقي.

ثم قال ونبرة صوته تقطر أسىً.

– ما كانا على هذه الشاكلة في شبابهما.

أجابه صديقه.

– ما كانا يجسران على اظهار حقيقة نفسيهما الضعيفة أمام المال، إحتراماً للوالد.

واستطرد بعد لحظة.

– المال نعمة، ولكنه نقمة لمن يقع في أحابيل رنينه وبريقه.

أكّد جدي.

– أحسنت.

ثم سأل صديقه.

– وحتام وصل بهما الأمر؟

تنهد صديقه وأجاب.

– إلى درجة كبيرة من السوء.

وكمن تذكر شيئاً سمعت صوت جدي وأحسست به نوع من الخجل.

– نسيت أنهما من أبناء عمومتك... إعذرني.

أجابه صديقه بصوت منكسر.

– لا عليك... فالأمر تلوكه الألسنة.

وبعد صمت أضاءه بريق خاطف في الخارج، برقت عينا جدي وسمعت صوت نبرته الحكيمة.

– سأحدثك عن حكاية رواها لي أبي، تشبه إلى حد كبير ما يحدث لإبنيّ عمومتك.

سأله صديقه.

– وماذا بعد الحكاية؟

أجابه جدي.

– ربما يجد من معناها هذان المتخاصمان المفتاح الذي يفتح باب المحبة بينهما.

أكّد صديقه.

– ربما.

وصفعني صراخ جدي.

– هل جهزَّت القهوة يا ولد؟

أجبته من خلال الكوة.

– بعد قليل.

جاءني صوته.

– دعها تنضج على نار هادئة.

أجبته بصوت كله محبة.

– مفهوم جدي.

وألصقت أذنيّ بعتبة الكوة وأنشأت أنصت.

قال جدي:

(ربما ما أقصه لك من الحكاية التي رواها أبي الكثير من الأشياء التي لا يصدقها العقل، ولكن هذا ليس بالشيء المهم، قدر أهمية معناها...)

إمتد صمت قصير كنت أسمع فيها صوت جريان ماء المطر في ساقية الزقاق، واخترق أذنيّ صوت جدي وهو يسترسل في سرد الحكاية:

(كما تبدأ كل الحكايات المسرودة للصبية الذي يغادرون مرحلة الطفولة نحو المراهقة، مثل سن حفيدي الذي يُعّد لنا القهوة، نستهلها بالقول.... كان يا ما كان في قديم الزمان، أو أي بداية أخرى ملائمة لسنهم، أقول أن حكايتنا حدثت في زمن قديم جداً، وبطلها أخوان ورثا عن والديهما الثروة والأراضي الشاسعة، نعم ورثا المال الكثير ولكنهما لم يرثا الأخلاق الراقية لوالدهما المحب للخير، إضافة إلى كرمه الباذخ لعابر السبيل ولكل من ضاقت ذات يده من أهل الضيعة والضياع المجاورة، فكان

الرب يزيد ويبارك في رزقه، لم يتعلما وهما اللذان كانا شاهدين على كل الأفعال الحميدة لوالدهما إلاّ أنهما أن سوء الطبع والبخل حول ورث والدهما الذي توفاه الله أوصلهما إلى أن تصيرا فرجة للقاصي والداني، وحاول رجال القرية، شيوخاً وشباباً إصلاح ذات البين بينهما، ولكن كل المحاولات أفشلها إصرار هذين الإبنين العاقين والمصرّين على الإساءة للذكرى العطرة لوالدهما الطيب، ووصل الخلاف بينهما بحيث حاولا، ولأول مرة يتفقان على عمل، لكونه ثمرة تفكير شرير من كليهما بأن يحفرا خندقاً عريضاً عميقاً بينهما ويصلاه بالنهر لكي ينفصلا عن بعضهما البعض بساقية عريضة مملوءة بماء الضغينة والبغضاء...

واعتقد أناس القرية أن هذا الإجراء الذي استغرق تنفيذه أسابيع عديدة سيضع حداً لشجارهما الدائم، ولكن هذا الرجاء تهدم بنيانه، فقد ازداد شجارهما، وصار كل من جهته يشتم أخاه ويصب اللعنات على روح والدهما الطيب، وصار هذا التصرف تستيقظ وتنام القرية على صداه.

وفي يوم ما ذهب الأخ الكبير إلى محل النجار وقال له.

- أريد ان تصنع لي سوراً من الخشب طوله عشرون متراً وبعلو ثلاثة أمتار.

أجابه النجار بصوت حزين.

- كي لا ترى وجه أخاك؟

قال الأخ الكبير.

- نعم.

إنحدرت دمعة صافية من عيني النجار وقال.

- إنه أخوك.

صرخ الآخر بصوت سمعه الرجال في زقاق القرية.

- أنا لا أخ لي.

طأطأ النجار رأسه ثم قال.

- سيكون ما تريده جاهزاً خلال أسبوع.

ألحّ الرجل.

- إنه كثير.

أجابه النجار.

- إنه سور..... سور يا رجل.

قال الرجل.

- كم تريد ثمن ذلك؟

أجابه النجار بصوت منخفض.

– لا أريد أي أجر، بل هو هدية مني.

وغادر الأخ الكبير وهو في فرح غامر أنساه حتى أن يلقي التحية.

وبعد أسبوع، وأناس القرية يترقبون شكل السور الذي صار الشغل الشاغل لهم، رجالا ونساءٍ، أطفالاً وصبياناً ورجالاً وشيوخ، صبايا وشابات ونساء وعجائز، وفي الصباح الباكر تجمهروا على ضفتي الساقية، ومن بعيد لمحوا النجار قادماً ممتطياً عربته التي يجرها الحمار الأبيض، وفي العربة بنيان خشبي، وحين وصل أوقف عربته وترجل من العربة، نظر إلى ثلة من الشباب وقال.

– من فضلكم ساعدوني في إنزال الهيكل الخشبي.

فامتثل الشباب الى الطلب وأنزلوا..... أنزلوا)

وقطع جدي حديثه ونظر إلى صديقه الذي كانت ينصت إلى الحكاية مثل الفتيان، وسأله.

– ما الذي أنزله الشباب من العربة؟

أجاب الصديق.

– السور.

وافقه جدي.

- صدقت.

ثم سافر مع الحكاية:

(وأنزلوا هيكلاً خشبياً طوله متران ونصف على هيئة جسر في وسطه من طرفي سياجيه المتقابلين تمثالان متشابهان تماماً يمدان أذرعهما نحو بعضهما وفي وجهيهما تعابير المحبة التي لا حد لها، ومن يتفرس جيداً في وجهي التمثال يدرك كم هو ماهر نجار القرية في تجسيد وجه الأب في كليهما.. ثم شمّر الرجل عن ساعديه وشد طرف صايته على حوضه وانتخى بعض الرجال الذين خاضوا معه مياه الساقية وقد اندهش الرجال من ذكاء النجار الوقاد، وفي دقائق انتصب الجسر واصلاً بين حافتي الخندق، وانتظم رجال القرية في الطرفين وقد لفهم الصمت والإعجاب، ... الصمت من الموقف الطاريء والإمتحان الصعب الذي وضع فيه النجار الأخوين المتناحرين الناعقين على الدوام، ... والإعجاب بحكمة هذا الرجل الذي أفنى عمره الطويل في عمل الخير، وحنكته في معالجة هذه المشكلة العويصة، وصارت العيون، عيون الجمع المحتشد أسواراً تسجن ذاتَي هذين الأخوين الغرّين، اللذين وقفا

جامدين كحجرين، أو كتمثالين، يحاولان وقد صعقهما الجسر وتمثالي الأب بنسختيه اللذين يحاولان احتضان الآخر، وبقيا وقتاً ظناه دهوراً، ثم... ثم....مشيا، كل من جانبه فوق الجسر، وحين وصلا الى منتصفة، في المسافة المحصورة بين أذرع التمثالين وقفا وتقابلا وصارا ينظران لبعضهما ولعيني التمثال الذي أحسا بأن البؤبوين في عيون التمثالين تغسلان روحيهما من الحقد والكراهية وأنهما يتطهران ويصيران مثل طفلين طاهرين، ثم ركضا والتحما في عناق محموم تحيط بهما الأذرع الأربعة للتمثالين، ..... ويقسم بعض الأطفال بأنهم رأوا حين عصفت السماء بتصفيق رجال وشباب وفتيان وأطفال تطرزهم زغاريد الفتيات والمتزوجات والعجائز، إنهم رأوا التمثالين وهما يصفقان وهناك دموع تتقطر من عينيهما)

وقطع جدي حكايته وسأل صديقه باستغراب.

– أعرف أنك بكيت، ولكني سمعت شخصاً آخر يبكي.

ثم بعد فترة صمت هتف بي.

– أين القهوة؟

- حاضر.

وحين صببت له القهوة كان ينظر في عينيّ بعمق، وسألني فجأة.

- ما بهما عيناك؟

أجبته وأنا أشيح بوجهي.

- لا شيء.

وبعد أن أنهى تفحصه لوجهي، سألني.

- لماذا تبكي؟

وقبل أن أجيب، قال.

- كنت تسمع الحكاية.... لا تتكر!!.

وأمام بريق عينيه اعترفت قائلاً.

- نعم.

- لم بكيت؟

وجاءتني الفكرة التي أبرهن بها فهمي المبكر.

- المطر...؟

سألني.

- ما به؟

قلت وأنا أحاول منع دمعة من النزول إلى خدي.

- هو الذي.....

قال جدي بغضب.

- هو الذي..... ماذا؟

لم أستطع مقارعة البكاء، فقلت من خلال نحيبي.

- هو الذي بكى.

***

الأحد

٢٠١٥/١/٢٥

عبقرينو وأبو عقلين

في دار جدي الواسعة الجميلة المسّورة بأشجار الزيتون والبرتقال والفستق، وأمام كوخه الطيني القديم الذي أصر على البقاء فيه، رغم الدار الجديدة التي شيدها أبي وإلحاحه على جدي بالسكن فيه، ولكن جدي هتف به موبخاً وكفه تؤشر على محتويات الكوخ.

– هذا التخت الخشبي، وتلك "الصندقجة"، وذلك "الميز" المزدهي بدلال القهوة العامرة دوماً، وتلك الشمس المتسللة عبر كوة السقف بهيئة حزمة ضوئية تتشكل في داخلها ذرات الغبار الناعمة، لن أبدله بقصر الإستانة.

وبعد قليل قال بحزم.

– لا تكرر هذا الطلب مرة أخرى.

وفي الدكة الطينية التي يترفق جدي بها عند جلوسه عليها، وهو ينظر إلى أوراقي المفروشة في حضني، سألني.

– ما هذه الأوراق؟، إنها ليست كتباً مدرسية؟!.

– أجل يا جدي.

– ماذا تفعل بها إذن..؟

ومن خلال ضحكة مسموعة مشرقة همست.

- لكي أدوّن بها الحكاية؟

- أية حكاية...؟

- حكاية كل يوم.

قال بحكمة.

- الأوراق قد تتلف أو تتمزق أو تضيع، هذا الأمر لا ينفع، عليك أن تحفظ الحكايات في رأسك.

أجبته مناكداً.

- قد أنساها.

قال مؤكداً وهو يمد ساعده ويمسد شعري بحنان.

- أنت ذكي، ولن تنسى شيئاً.

ثم همس لنفسه.

- قد يصير حكواتياً في المستقبل؟

ونظر إلى الباب الخشبي للحوش، إبتسم وقال.

- لا يتأخر أبداً، دقيق في مواعيده.

وقبل أن أسأله رشقت نظرة إلى حيث ينظر، هتف بفرح.

- يا مرحباً بأبي عقلين.

رد عليه الآخر على الفور.

- مرحبا بعبقرينو.

وامتدت في الفضاء الصاحي نبرة ضحكة مشتركة صادقة، جلس صديق جدي الذي أحبه كثيراً على الدكة المجاورة لدكة جدي، التفت جدي صوبي وهمس.

- القهوة.

قلت مطمئناً.

- الدلال على النار.

ومضيا يتهامسان ويضحكان وهما حريصان على أن لا أسمع خبايا أسرار حياتهما، فقمت بحركة أعرف أنها تستفز جدي، فأمسكت القلم وبسطت الأوراق فوق أحد كتبي، فصرخ بي غاضباً.

- أرفع الورق وألق القلم.

قلت في عناد.

- سأكتب كل ما تهمسان به.

رفع عكازته الصقيلة اللامعة وأمسكها من رأسها الذئبية وضربني بها وهو يصرخ بغضب حقيقي.

- لا تكن فضولياً يا ولد.

ثم خاطبني بثقة.

- تستطيع أن تعتمد على رأسك الكبير هذا.

وتبادلا ضحكة صاخبة شعرت على أثرها أنني صرت مادة لتندرهما... فسألتهما بتهكم.

– عندا يجتمع عبقرينو بأبي عقلين، فعلى الهدوء السلام.

ثم سألتهما بجد.

– لماذا تُلقبان بهاتين التسميتين؟

تبادلا نظرة مشتركة قصيرة عميقة، من ثم قال ضيف جدي.

– إنها حكاية قديمة جداً.

ألححت عليه.

– أسردها لي.

وأشهرت يدي أمامهما.

– ولن أدونها إلاّ....

وأشرت بسبابتي على صدغي.

– في هذا الرأس الضخم.

بعد أن أنهيا ضحكتهما الصافية، قال صديق جدي.

– سيسردها جدك.

– لماذا أنا؟

– هل نسيت تلك الليالي الشتائية الباردة التي كنت تدفئها بحكاياتك الساحرة المشوقة التي كنت تبتكرها بخيالك المجنون.

– وأنت تتواضع يا صديقي، أنسيت تلك المساءات...؟ فهتفت بهما.

– أنسيتما، إني لن أصب لكما القهوة إن لم تتفقا، علاوة على أني سأجلب الورقة والقلم.

تبادلا ضحكة صبي فضحته نقنقة الدجاج وكشفت أمره في محاولة سرقة البيض من الأهراء، فقال جدي.

– حسن يا ولد لقد غلبتنا، سأقص عليك الحكاية.

– وسأكتبها كي يقرأها أصدقائي.

زجرني بغضب.

– ولد.

وقفت على بعد لا تطالني به عصاه، فقلت.

– إليّ بحكاية عبقرينو وأبي عقلين.

صفن جدي قليلاً مصحوباً بنظرة عميقة مليئة بالمحبة من عيني صديقه الذي باغته جدي بسؤال.

– لماذا لا تقصها أنت؟

قاطعه صديقه.

- هيا إبدأ.

وبعد أن فكر جدي قليلاً، ضحك مليء فمه ثم قال لصديقه.

- ماذا كان اسمه؟

- من...؟

- معلمنا المحبوب.

- الخواجة بشير.

إرتسمت ابتسامة على محيا جدي ثم قال بصوته العذب حين يحب الحكاية التي ينوي سردها:

((كيف تتصور يا بني حال القرى قبل سبعين عاماً، وكيف كنا نعيش، وماذا كان يمتهن آباؤنا وأجدادنا، وكيف تتصور قرية محاطة بحزام من الأشجار الحولية المثمرة وغير المثمرة والتي تستعمل بعد تقطيعها إلى تخوت وأبواب وأخوَنة....الخ، والسماء فوقها تتزين بالزاهي والجميل من الألوان، فمن الزرقة التي تتوشح بها غالباً، إلى لون رصاصيٍ هادئ يضاهي دكنة القلوب حين ينفذ صبرها بانتظار المطر، إلى بياض يضاهي بياض القلوب في الأعراس

والأعياد، ... وكيف تتصور قرى لو أُحصيت -كل على حدة -، الدواب، الأبقار، الشياه، الدجاج، الأرانب، الحساسين، البلابل، القبرات، الهداهد، لكان عددها يتجاوز الخمسين ضعفاً لعدد سكانها من الأوادم، ... ورغم أن أهل ضيعتنا في وفاق تام مع الأمية، فأنهم كان لهم الرغبة الخالصة في أن يتعلم أبناؤهم، فعمدوا إلى بناء حجرتين من اللبن كمدرسة للقرية، الأولى كصف للتلاميذ، والثانية لسكن المعلم الذي أرسلته الحكومة لكي يؤسس اللبنة الأولى لمدرسة قريتنا، وعندما اكتملت بنايتها سارع الأهالي إلى إرسال أولادهم إليها، وكانوا في غاية السرور عندما يرون أولادهم بعد عودتهم من الدوام يفترشون الحصائر ويبدأون باستذكار دروسهم، وهكذا كانت الأيام والشهور تجري وابناؤنا يتقدمون في دروسهم ويتباهون بكتبهم الملونة المليئة بالرسوم الجميلة.... وفي يوم ما، بعد العيد جرت أحداث حكاية تَسّمى على أثرها إثنان من التلاميذ، أحدهما عبقرينو، والثاني أبو عقلين)).

*****

لأن الخواجا بشير صار مع الأيام، وبعد أن تيقن أن فقط إثنين من التلاميذ يتسابقان في رفع سبابتهما وبإلحاح

للإجابة على اسئلته، والبقية الذين يفترشون الحصائر في غرفة الدرس برؤوسهم الحليقة ودشاديشهم المرتقة هم مجرد حيطان صافنة، فصار يشير إليّ أنا مرة، ولعامر مرة أخرى، فكنا ك.. "بيبي متو"، نجيبه على أسئلة ما يجعله يبتسم وهو يؤشر نحو الحيطان، أقصد بقية التلاميذ بأن يصفقوا لنا، هذا الأمر، التصفيق المتواصل بالأفواه المفتوحة والعيون الزائغة والأدمغة البليدة، جعلت الحيطان..... أقصد التلاميذ أن يتفقوا على عدم المجيء إلى المدرسة في اليوم التالي، فكان صباح اليوم القادم، بحق، ويمكن أن يسجل في تاريخ البلد الحديث كأول إضراب طلابي))....

وقاطعه صديقه حين أيقن أن دوره في الحديث قد حان.

((قالت أمي وهي تسلق لي بيضة.

- ما به خالد؟

- ما به؟

وبختني بحدة.

- أنا سألتك؟.

ثم أكملت مثل من يحدث نفسه.

كنت أفرش العجين وأفرشه، وأمه تلصقه في جوف التنور الملتهب، حين دخل الحوش صارخاً.

– لن أذهب إلى الكتاتيب بعد اليوم.

رفع والده رأسه عن ماكنة غزل الصوف وسأله.

– لماذا؟

أجاب خالد بنبرة باكية وهو يمسح مخاطه بردن دشداشته.

– الخواجة بشير يفضل عبقرينو وأبا عقلين على سائر التلاميذ.

جهرت الأم بضحكة قصيرة عميقة وابتسمت أنا، فيم اختنق والده من جراء قهقهة مجلجلة، وسأله.

– من هما؟!.

فنظر خالد صوبي ثم أشهر سبابته وقال.

– أبو عقلين إبنها.

فتعجبت من الإسم، فيم أكمل خالد.

– وعبقرينو هو ابن خالتي مريم.

غضب والده وسأل.

– لماذا يفعل الخواجة هذا الأمر؟!.

ارتسمت البلاهة في عيني خالد وقال فارداً ذراعيه.

- لا أعلم.

لانت ملامح الوالد وقال بهدوء.

- غدا سأذهب إلى المدرسة ونعرف الحقيقة)).

وقاطعه جدي قائلاً.

- هذا هيّن بالنسبة لما فعله العم أمير جارنا.

سألته بلهفة.

- ماذا فعل؟

غمز صديقه بعينيه الصغيرتين وزجرني هاتفاً.

- عندما يتكلم الكبار، ينسطل الصغار....

صمت على ملل وأناملي تعانق الورق النائم في حضني، وعيناي تراقبان فمه الذي صرخ بغضب.

- ولد؟؟؟

أذعنت لأمره، وقلت بأدب.

- حاضر جدي.

ثم قال مكملاً.

((سمعنا صوت صراخ وجعجعة، واسمي يتردد على أسماعنا، فأفلت والدي الجدي الصغير الذي تراكض نحو

أمه واستدر حليبها بنهم، واتجه والدي صوب شجرة التوت التي تتوسط الحوش وهتف.

- خير إنشاء الله أمير؟

فأتانا صراخ العم أمير.

- هذا الأفندي يهتم بابنك وابن باسم أكثر من أولادنا.

- أي أفندي؟!.

- الخواجة بشير.

هش والدي بوجهه ثم أمسكه من دميره وسحبه إلى التنور وأجلسه على اللبادة المفروشة لصق الحائط، وقال مهدئاً.

- هوّن عليك، لا تزعل يا أبا يوسف، غداً سنصلح الأمور.

- لن تصلح الأمور إلاّ برحيل هذا الرجل.

- ومن أين لنا بمعلم آخر يا أخي؟

ثم بعد أن أعطى للرجل الغاضب كيس التبغ ليعمّر سيكارة.

- لن ترسل إلينا الولاية معلماً آخر.

- والعمل؟

قال جدي.

- إن غداً لناظره قريب.)).

وفي صباح اليوم الثاني عندما ذهب أولياء أمور التلاميذ محتجين، وجدوا الخواجة بشير ينتظرهم أمام غرفة الدرس وفي عينيه علامات التساؤل، وحالما وصل الحشد إليه إبتسم بوجوههم وحيّاهم..

- مرحباً بكم.

وبعد أن وجد الوجوم على الوجوه، سأل مندهشاً.

- خير يا جماعة؟!.

فانبرى أبي وقال في مودة.

- طبعاً خير يا خواجة.

قاطعة الخواجة بلطف.

- ما الخبر...؟

فهتف أحد الآباء بصوت جهير.

- أنت تفرّق بين التلاميذ.

ارتسمت علامة تعجب كبيرة على وجه الخواجة، وأشار بسبابته على صدره.

- أنا...؟؟!!.

فجاءه نفس الصوت وبنفس الحدة.

– أنت تفضّل عبقرينو وأبا عقلين على سائر التلاميذ.

قال مع ضحكة.

– عبقرينو وأبو عقلين...!، من هما؟.

أجاب أبي بملاينة.

– عبقرينو هو إبني.

وأجاب والده.

– وأبو عقلين هو إبني.

بان الهدوء على وجه الخواجة، ثم ارتسمت على شفتيه إبتسامة ارتياح وقال مخاطباً الرجل العاتب.

– أنت على حق.

فجاءته الجملة على الفور.

– أنت قلت؟

وأكمل الخواجة.

– ولستَ على حق.

جاءته أصوات عديدة متذمرة.

– كيف هو على حق، وليس على حق..؟.

رمق الخواجة السماء الصاحية وتمعن في قباب البيوت

الأجرية ثم تسلقت عيناه قمة التل الذي يحنو على القرية، وقال.

– قد يكون هذا صحيحاً، إني لا أنكر هذا، ربما لذكائهما، ولكني بعد قليل سأثبت لكم فطنة هذين الصبيين، باختبار ورد إلى خاطري الآن...

ثم التفت إلى الآباء، الذين يلوذ تحت صاية كل منهم ولده، وقال.

– إرسلوا أولادكم إلى بيوتهم، وليأت كل واحد منهم بدجاجة وسكين.

شملنا العجب، فسألته.

– لماذا يا خواجة؟

– لكي أبرهن لهم ذلك.

وأرسلنا أولادنا إلى الضيعة دفعة واحدة، وخاطبنا الخواجة بشير بابتسامته المعهودة.

– هيا يا أصدقاء، إستريحوا ريثما يعود التلاميذ.

وبعد حين عاد التلاميذ، وأغلبهم رافقتهم أمهاتهم وأخوتهم، فصار فناء المدرسة فرحة عيد وهو ممتليء بالناس، وبعد أن إكتمل عدد التلاميذ، ووقفوا مترادفين

أمام المعلم في منظر جعل الكثير من الآباء يغرقون في الضحك وهم يعاينون أولادهم يضربون الدجاجات النقناقات كي يقطعن نقيقهن، ... وقف الخواجة بشير فساد صمت مفاجيء، خاطب الجمع قائلاً.

– يا أهل الضيعة الطيبين.....

وبعد أن ساد الصمت المهيب، أكمل.

– يقول آباء التلاميذ إني أفضّل نبيل وعامر، عن بقية التلاميذ، وهذا صحيح، لأني أجد فيهما من النباهة والذكاء ما يفوق سائر أقرانهم..... ولإثبات ما ذهبت إليه، سأجري لهم جميعاً هذا الإختبار.

وصمت قليلاً كي يستوعب الجمع المحتشد كلماته، ثم أكمل.

– والإختبار هو....

ووجه كلامه نحو التلاميذ.

– يا أولادي الأعزاء، في يد كل واحد منكم سكين ودجاجة.... أليس كذلك؟

هتف التلاميذ تباعاً.

– نعم خواجة.

- أريد من كل واحد منكم أن يذهب بين الحقول والأشجار والبيوت، أو أي مكان يستطيع أن يختبيء بحيث لا يراه أحد ويذبح دجاجته، ويرجع مع دجاجته المذبوحة هنا.

هتف الجميع تباعاً.

- نعم أستاذ.

فهتف بهم آمراً.

- هيا اذهبوا.

فانطلق التلاميذ نحو الحقول والبيوت والأشجار.....

وبعد فترة عاد جميع التلاميذ، الواحد بعد الآخر، وفي يد كل واحد منهم دجاجة بلا رأس ووقف في مكانه، ... وبعد إكتمال الجمع هتف الخواجة مخاطباً التلاميذ.

- هل إكتمل عددكم؟

فإنبرى المراقب.

- ما عدا عبقرينو وأبا عقلين.

- من....؟!.

أجاب المراقب باحترام.

- ما عدا عامر ونبيل.

إلتمعت عينا الخواجة وابتسم، حين وجد الإثنين قادمين من اتجاهين متعاكسين وصوت صياح الدجاجتين يسبقهما، وحين وقفا أمام الجمع وضعا الدجاجتين على الأرض فركضتا واختفيتا بين الحقول، ووقفا أمام الخواجة باحترام، سألهما.

– لماذا لم تذبحا الدجاجتين؟

فهمس نبيل.

– إنزويت في مكان لا يمكن لأحد أن يراني....

فقاطعه عامر.

– وحين حاولت أن أنجز المهمة.....

فجاء صوت نبيل.

– وكنت أخّمن أن الأستاذ بشير يرمي لشيء صعب فهمه....

وقاطعه عامر.

– وفهمته وأنا أهّم بذبحها....

وأكمل نبيل.

– لاحظت أن هناك من.....

واستطرد عامر.

- يراني...

وأكد نبيل.

- دون أن يرانا البشر....

بان الفرح في عيني الخواجة بشير الذي واجه الآباء الذين انبهروا بذكاء الولدين، كان الخواجا، فعلاً، على حق، وأن الصبيين يحملان من الذكاء ما يفوق سنيهما، فانسلا الواحد إثر الآخر منكسي الرؤوس يتبعهم بقية الحشد، وبقي ذوينا نحن الإثنين، ثم صافح الخواجة والدينا واعتذر لهما بأنه سيتركهما لبدء درس جديد.)).

ولاحظت مدى الفرح والجهد الذي بذلاه معاً وهما يتناوبان في فك لغز التسمية، وأحسست بالتوقير لهاتين القامتين الشامختين، ولإضفاء نوع من الفكاهة على الموقف تناولت ورقي وقلمي وقفزت على مرمى حجر منهما، وهتفت.

- أعتقد أن هذه القصة تستحق أن أكتبها على الورق، وأن أطبعها في كتاب عندما أكبر، لكي يقرأها الكثير من الفتيان..

لانت ملامح جدي وسمعت صوته المداهن.

– صدقت يا حفيدي، هلم أجلس وأكتبها، وإن فاتك شيء تستطيع أن تسألنا...

صدقته لأول مرة في حياتي وأنا الخبير بحيله في تأدييي عندما لا يطالني، ودفعت ثمنها وجع ضربة عكازة مؤلمة على ظهري وقهقهته تلاحقني.

– جمجمتك الكبيرة، يا حكواتي المستقبل، يمكن أن تكون سلّة كبيرة من القصص والحكايات.

وبعد أن شارك صديقه ضحكة طفولية صادقة، رفع عكازته بوجهي وقال.

– مفهوم يا ولد؟

***

السبت

٢٠١٤/٥/٢٤

السيرة الذاتية:

هيثم بهنام بردى

الأسم الكامل: هيثم بهنان جرجيس بردى

- ولد في العراق/ عام ١٩٥٣.
- عضو اتحاد الأدباء العراقيين.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- عضو نقابة الفنانين العراقيين.
- عضو فخري مدى الحياة في دار نعمان للثقافة اللبنانية.
- رئيس تحرير مجلة (إنانا) التي تعنى بشأن المرأة.

حضر وشارك في مهرجانات وملتقيات عديدة أبرزها:

- الندوة العربية الأولى للقصة الشابة التي أقامتها مجلة الطليعة الأدبية في بغداد عام ١٩٨٠.
- ملتقى القصة العراقية في بغداد عام ١٩٩٥.
- ندوة الرواية العربية في بغداد عام ٢٠٠٢.
- الملتقى الثالث للقصة القصيرة جداً في حلب عام ٢٠٠٥.
- الملتقى الرابع للقصة العراقية (ملتقى د. علي جواد الطاهر) في بغداد ٢٠٠٨.
- مهرجان الجواهري عام ٢٠١٠ وعام ٢٠١٢.

- مؤتمر ثقافة الأطفال الدولي الأول في بغداد عام ٢٠١٠.
- معرض إيطاليا الدولي للكتاب في إيطاليا (مدينة تورينو) عام ٢٠١٤، ألقى فيها محاضرة في "القاعة الزرقاء" عن الأدب السردي العراقي الحديث.

أصدر أربعة وعشرين كتاباً موزعاً على:

الرواية:

١. الغرفة ٢١٣/ مطبعة أسعد – بغداد١٩٨٧.

٢. مار بهنام وأخته سارة/ مركز أكد للطباعة والإعلان – أربيل ٢٠٠٧.

٣. قديسو حدياب/ مركز أكد للطباعة والإعلان – أربيل ٢٠٠٨.

- صدرت باللغة السريانية عن دار منارة في أربيل عام ٢٠١١ ترجمة: كوركيس نباتي.

٤. أحفاد أورشنابي/ دار ثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - ابوظبي، بيروت ٢٠١٥.

القصة القصيرة:

١. الوصية/ دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة – بغداد ٢٠٠٢.

٢. تليباثي/ دار نعمان للثقافة– بيروت ٢٠٠٨.

-صدرت طبعتها الثانية عن دار الينابيع بدمشق عام ٢٠١٠.

- صدرت طبعتها الثالثة عن دار أمل الجديدة بدمشق عام ٢٠١٥.

٣. نهر ذو لحية بيضاء/ دار رند للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ٢٠١١.

٤.أرض من عسل/ دار الحوار للنشر والتوزيع– اللاذقية، سوريا ٢٠١٢.

القصة القصيرة جداً:

١. حب مع وقف التنفيذ/ مطبعة شفيق– بغداد ١٩٨٩.

٢. الليلة الثانية بعد الألف/ منشورات مجلة نون – الموصل ١٩٩٥.

٣. عزلة انكيدو/ مطبعة نينوى – بغداد ٢٠٠٠.

٤. التماهي/ دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة – بغداد ٢٠٠٨.

٥.القصة القصيرة جداً/ الأعمال القصصية ١٩٨٩–٢٠٠٨ / دار رند للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق ٢٠١١.

أدب الطفل:

١. الحكيمة والصياد/ مسرحية للفتيان/ مطبعة بيريفان– أربيل ٢٠٠٧.

٢. مع الجاحظ على بساط الريح/ سيرة قصصية للفتيان– دار رند للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق ٢٠١٠.

٣. العشبة/ مسرحية للفتيان/ مطبعة الديار– الموصل ٢٠١٣.

الإعداد والتقديم:

١. القصة القصيرة جداً في العراق/ إعداد وتقديم– المديرية العامة لتربية نينوى– الموصل ٢٠١٠.

- صدرت طبعتها الثانية "مزيدة ومنقحة" عن دار الشؤون الثقافية عام ٢٠١٥.

٢. سركون بولص عنقاء الشعر العراقي الحديث/ إعداد وتقديم– إصدار المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية_ أربيل ٢٠١١ .

٣. القصة القصيرة جداً... الريادة العراقية/ إعداد وتقديم/ دار غيداء للطباعة والنشر والتوزيع -عمّان، الأردن ٢٠١٦

الكتابة المفتوحة:

- الـذي رأى الأعمـاق كلـها/ كتـاب انثيـالات – مطبعـة ميديا – أربيل ٢٠٠٧.

سلسلة مبدعون عراقيون سريان:

١. قصاصـون عراقيـون سـريان في مسـيرة القصـة العراقيـة/ إعداد وتقديم – إصدار المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية – أربيل ٢٠٠٩.

- صـدرت طبعتهـا الثانيـة عـن دار تمـوز للطباعـة والنشـر – دمشق ٢٠١٢.

- صـدرت ترجمتهـا إلى اللغـة الكورديـة مـن قبـل أحمـد محمـد إسماعيـل وصـدرت عـن المديريـة العامـة للثقافـة والفنون السريانية عام ٢٠١٢.

٢. قصاصـون عراقيـون سـريان في مسـيرة القصـة العراقيـة القصـيرة جـداً/ دار تمـوز للطباعـة والنشـر والتوزيـع – دمشق ٢٠١٢.

٣. روائيون عراقيون سريان في مسيرة الرواية العراقية/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق ٢٠١٢.

٤. كتّاب أدب طفل عراقيون سريان في مسيرة أدب الطفل

العراقي/ مطبعة شفيق– بغداد ٢٠١٣.

كتب صدرت عن أدبه :

• في القصة القصيرة

١. تجليات الفضاء السردي– قراءة في سرديات هيثم بهنام بردى/ إعداد وتقديم: أ. د محمد صابر عبيد/ دار تموز للطبعة والنشر والتوزيع– دمشق٢٠١٢.

٢. شباط ما زال بعيداً، دراسات نقدية في المجموعة القصصية أرض من عسل لهيثم بهنام بردى/ إعداد وتقديم: جوزيف حنا يشوع/ مطبعة الديار– الموصل ٢٠١٢.

٣. الكون القصصي، تجليات السرد وآليات التمظهر، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى/ محمد إبراهيم الجميلي/ مطبعة الديار– الموصل ٢٠١٣.

٤. المهيمنات القرائية وفاعلية التشكيل السردي في مجموعة نهر ذو لحية بيضاء/ إعداد وتقديم ومشاركة: الدكتور خليل شكري هياس/ دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع -دمشق ٢٠١٤.

٥. جماليات تشكيل الوصف في القصة القصيرة، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى/ د. نبهان حسون السعدون/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع -دمشق ٢٠١٤.

• في القصة القصيرة جداً

١. حبة الخردل/ دراسات نقدية عن تجربة القاص هيثم بهنام بردى في كتابة القصة القصيرة جداً/ إعداد وتقديم خالص ايشوع بربر/ منشورات اتحاد الأدباء السريان– الموصل ٢٠٠٥. صدرت طبعته الثانية عن دار رند للطباعة والنشر والتوزيع في سوريا عام ٢٠١٠.

٢. شعرية المكان في القصة القصيرة جداً– قراءة تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى/ د. نبهان حسون السعدون/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق٢٠١٢.

٣. الثريا، دراسات نقدية عن تجربة القاص هيثم بهنام بردى في كتابة القصة القصيرة جداً/ إعداد وتقديم: خالص ايشوع بربر/ مطبعة شفيق - بغداد ٢٠١٤.

•في الحوار

- أسماء في ذاكرة المدينة -هيثم بهنام بردى/ حوار: نمرود قاشا، تقديم: معد الجبوري/ مطبعة شفيق - بغداد ٢٠١٣.

دراسات أكاديمية عن أدبه:

- حاز الأستاذ محمد إبراهيم الجميلي على شهادة الماجستير بدرجة "جيد جداً" من كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل بتأريخ ٢٠١٣/٣/٣ عن رسالته الموسومة (السرد في قصص هيثم بهنام بردى القصيرة).
- حازت الأستاذة نادية نزهة سليمان على شهادة الماجستير بدرجة "امتياز" من كلية التربية للبنات/ جامعة تكريت، بتاريخ ١٧/ ٢/ ٢٠١٤ عن رسالتها الموسومة: (جماليات القصة القصيرة جداً/ هيثم بهنام بردى مثالاً).
- حاز الأستاذ همام حازم عطا على شهادة الماجستير بدرجة "جيد جداً عالي" من كلية الآداب/ جامعة تكريت، بتاريخ ٢٠١٥/١/١١ عن رسالته الموسومة (العتبات النصية في سرد هيثم بهنام بردى القصصي).

الجوائز:

- حائز على جائزة ناجي نعمان الأدبية اللبنانية لعام ٢٠٠٦.
- حائز على الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أقامتها دار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠٠٦ عن قصته القصيرة "النبض الأبدي".
- حائز على الجائزة الثانية في مسابقة وزارة الثقافة لمسابقة أدب الأطفال/ دار ثقافة الأطفال/ جائزة (عزي الوهاب للنص المسرحي) عام ٢٠١٠ عن مسرحيته الموسومة (العشبة).
- حائز على الجائزة الثانية في مسابقة القصة القصيرة التي أقامها قصر الثقافة والفنون في محافظة صلاح الدين عام ٢٠١١ عن قصته الموسومة (الرسالة).

ورد اسمه:

- في كتاب (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين– الجزء الثالث– صفحة ٢٨١) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة عام ١٩٩٨ لمؤلفه الأستاذ حميد المطبعي.
- في كتاب (موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين – صفحة ٦٠٠) الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث

العلمي/ جامعة الموصل – مركز دراسات الموصل– عام ٢٠٠٧ ، لمؤلفة الأستاذ الدكتور عمر الطالب.

الترجمة:

- ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإنكليزية والهولندية والفرنسية والإيطالية.

***